التعقبات الصريحة

على رسالة النصيحة

للدكتور إبراهيم بن عامر الرحيلي

تأليف

عبد الله بن عبد الرحمن بن حسين البخاري

الحلقة الأولى

إنَّ الحمد لله نَحمدُه و نستعينهُ ونستغفرهُ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرورِ أَنْفُسِنَا وَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضلَّ لَهُ، وَ مَنْ يُضْلِل فَلا هَادي لَه، وَأَشهدُ أن لا إِلَه إلاَّ الله وحْدَه لا شَريكَ لَهُ، وَ أَشْهَدُ أنَّ محمَّداً عَبْدُه وَرَسولُه ﷺ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾.

أمَّا بعدُ: فَإنَّ أصدقَ الحديثِ كَلامُ الله تَعالى، وخَيرَ الْهَدي هَديُ مُحَمَّدٍ صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وشرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدعةٌ وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

ثُمَّ إنَّ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ العظيمة: وُجُوب الاجْتِماع والائتلاف ونَبذ الفُرقة والاختلاف، وأنْ يكونَ هذا الاجتماعُ على الحقِّ وبالحقِّ وللحقِّ.

وهذا الأصلُ دلَّ عليه الكِتَاب والسُّنَّة، قَالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة: «تَعْلَمُونَ أنَّ من القواعدِ العظيمةِ التي هي مِنْ جِمَاعِ الدِّين: تأليفَ القلوبِ واجتماعَ الكلمةِ وصلاحَ ذات البين؛ فإنَّ الله تعالى يقول ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾...- وذكر آيات ثمَّ قال- وأمثال ذلك من النُّصوصِ تأمرُ بالجماعةِ والائتلافِ وتنهى عن الفرقةِ والاختلافِ، وأهلُ هذا الأصلِ هُمْ أَهْلُ الجماعة، كما أنَّ الخارجين عنْهُ هُمْ أهلُ الفرقة»(المجموع) لابن قاسم (٢٨/ ٥١).

ومِنْ أدلَّة هذا الأصلِ: قَولهُ تَعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾، وقوله عزَّ وجلَّ ﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾، وقوله ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾، وقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ والآياتُ في البابِ كثيرةٌ.

ومِنَ السنَّةِ ما جَاء فِي صَحيح مُسْلمٍ منْ حَديثِ أَبِي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «إنَّ الله يرضَى لكم ثلاثاً ويَكْرَهُ ثَلاثاً، فيرضَى لكمْ أنْ تَعْبُدوه ولا تُشْرِكُوا به شيئاً، وأنْ تَعْتَصِمُوا بحبلِ الله جَمِيْعاً ولا تَفَرَّقُوا، ويَكْرَهُ لَكُمْ: قِيْلَ وقَالَ، وكَثْرَةَ السُّؤال وإضَاعةَ المال» (٣/ ١٣٤٠).

قَالَ الحافظ ابن عبد البرِّ في (التَّمهيد) (٢١/ ٢٧٢) شارحاً الْحَديث: «فيهِ الْحَضُّ على الاعتصام والتَّمسُّكِ بِحَبْلِ الله في حال اجتماعٍ وائتلافٍ.

وحبلُ اللهِ فِي هذا الموضعِ فيه قَولان: أحدُهما: كتاب الله. والآخر: الجماعة، ولا جماعةَ إلاَّ بإمامٍ. وهو عندي معنىً متداخلٌ متقاربٌ؛ لأنَّ كتاب الله يأمرُ بالألفة، وينهى عن التَّفرُّقِ، قال تعالى ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ ..﴾، وقَال ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾..» إلى آخر كَلامه.

وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (منهاج السُّنة) (٣/ ١٣٤) مُفَسِّراً حبلَ الله تعالى: «وقد فُسِّرَ حبْلُه بكتَابِه، وبدينِهِ، وبالإسلامِ، وبالإخلاصِ، وبأَمْرِهِ، وبعَهْدِهِ، وبطَاعَتِهِ، وبالجمَاعةِ. وهذه كلُّها منقولة عن الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين، وكلُّها صحيحة، فإنَّ القرآنَ يأمرُ بدين الإسلام، وذلك عهدُهُ وأَمْرُهُ وطَاعتُه، والاعتصام به جميعاً إنما يكون في الجمَاعة، ودين الإسلام حقيقتُه: الإخلاصُ للهِ».

ومِنْ أدلَّةِ السُّنَّة أيضاً الدَّالةِ عَلى ذمِّ الافتراقِ والْحَثِّ على الاتِّفاقِ، حَديث الافتراق «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة..» وهو حَديثٌ مشهورٌ مَعْروفٌ ثابتٌ، وهو متضمنٌ التَّحذير مِنْ مُفَارقةِ سبيل المؤمنين، وكَلامُ أهلِ العلم فيه مَسْبُوطٌ مشهورٌ.

ثُم إنَّه قَدْ وَقعَ الافتراق الَّذي حذَّرنا منْه النَّبيُّ ﷺ، وظَهَرَتِ الفِرَق والنِّحل المخالفة لهديه ﷺ المشاقَّة لسبيلِهِ وسبيلِ المؤمنين، وعادَ أتباع منْهجهِ ﷺ حقّاً وصدْقاً غُرَباء أشد النَّاس غربةً، إلا أنَّها غربة يُغْبَطُون عليها، ولا وحشةَ على أصحابها، **قالَ الإمامُ ابن القيم في (مدارج السالكين)** (٣/ ١٩٦-٢٠٠): «.. والمؤمنون في أهل الإسلام غرباء وأهل العلم في المؤمنين غرباء وأهل السُّنَّة الذين يميزونها مِنَ الأهواء والبِدَعِ فيهم غرباء، **والدَّاعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشد هؤلاء غربة، ولكن هؤلاء هم أهل الله حقاً فلا غربة** عليهم وإنما غربتهم بين الأكثرين الذين

قال الله عز وجل فيهم ﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فأولئك هم الغرباء من الله ورسوله ودينه، وغربتهم هي الغربة الموحشة وإن كانوا هم المعروفين المشار إليهم... فالغربة ثلاثة أنواع: غربة أهل الله وأهل سنة رسوله بين هذا الخلق، وهي الغربة التي مدح رسول الله أهلها وأخبرَ عن الدِّين الذي جاء به أنه بدأ غريباً وأنَّه سيعود غريباً كما بدأ وأنَّ أهله يصيرون غرباء، وهذه الغربة قد تكون في مكانٍ دون مكانٍ ووقتٍ دون وقتٍ وبين قومٍ دون قوم، ولكن أهل هذه الغربة **هم أهل الله حقاً فإنهم لم يأووا إلى غير الله ولم ينتسبوا إلى غير رسوله ولم يَدْعُوا إلى غير ما جاء به،** وهم الذين فارقوا الناس أحوج ما كانوا إليهم فإذا انطلق الناس يوم القيامة مع آلهتهم بقوا في مكانهم فيقال لهم ألا تنطلقون حيث انطلق الناس فيقولون فارقنا الناس ونحن أحوج إليهم منا اليوم وإنا ننتظر ربنا الذي كنا نعبده؛ فهذه الغربة لا وحشة على صاحبها بل هو آنس ما يكون إذا استوحش الناس وأشد ما تكون وحشته إذا استأنسوا فوليه الله ورسوله والذين آمنوا وإن عاداه أكثر الناس وجفوه ...**ومن صفات هؤلاء الغرباء الذين غبطهم النَّبيُّ التَّمسُّك بالسُّنَّةِ إذا رغبَ عنْها النَّاس وترك ما أحدثوه وإن كان هو المعروف عندهم وتجريد التَّوحيد وإن أنكر ذلك أكثر النَّاس، وترك الانتسابِ إلى أحدٍ غير اللهِ ورسولهِ لا شيخٍ ولا طريقةٍ ولا مذهبٍ ولا طائفةٍ، بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده وإلى رسوله بالاتِّباع لما جاء به وحده،** وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقَّاً وأكثر النَّاس بل كلهم لائم لهم؛ **فلغربتهم بين هذا الخلق يعدونهم أهل شذوذ وبدعة ومفارقة للسواد الأعظم ... بل الإسلام الحقّ الذي كان عليه رسول الله وأصحابه هو اليوم أشد غربة منه في أول ظهوره وإن كانت أعلامه ورسومه الظاهرة مشهورة معروفة فالإسلام الحقيقي غريب جدًّاً وأهله غرباء أشد الغربة بين الناس.**

وكيف لا تَكُون فرقة واحدة قليلة جدًّاً غريبة بين اثنتين وسبعين فرقة، ذات أتباع ورئاسات ومناصب وولايات، ولا يقوم لها سوق إلا بمخالفةِ ما جاء به الرَّسول فإن نفس ما جاء به يضاد أهواءهم ولذاتهم وما هم عليه من الشُّبُهات والبدع التي هي منتهى فضيلتهم وعملهم والشهوات التي هي غايات مقاصدهم وإراداتهم، فكيف لا يكون المؤمن السَّائر إلى الله على طريق المتابعة غريباً بين هؤلاء الذين قد اتبعوا أهواءهم وأطاعوا شحهم و.... فإذا أراد المؤمن الذي قد رزقه الله بصيرة

في دينه وفقهاً في سُنَّةِ رسوله وفهماً في كتابه **وأراه ما الناس فيه من الأهواء والبدع والضلالات وتنكبهم عن الصِّراطِ المستقيم الذي كان عليه رسول الله وأصحابه، فإذا أراد أن يسلك هذا الصِّراط فليُوطِّن نفسه على:**

قدحِ الجُهَّالِ وأهلِ البدعِ فيهِ، وطعْنهم عليه، وإزرائهم به، وتنفير النَّاس عنه، وتحذيرهم منه كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه، فأمَّا إنْ دعاهم إلى ذلك وقَدَحَ فيما هم عليه فهنالك تَقُومُ قيامتهم ويبغون له الغوائل وينصبون له الحبائل ويجلبون عليه بخيل كبيرهم ورجله. فهو غريبٌ في دينهِ لفسادِ أديانهم، غريبٌ في تمسُّكهِ بالسُّنَّةِ لتَمَسُّكِهم بالبدع، غريبٌ في اعتقادهِ لفسادِ عقائِدِهم، غريبٌ في صَلاتهِ لسُوءِ صلاتهم، غريبٌ في طريقه لضلالِ وفسادِ طرقهم، غريبٌ في نسبتهِ لمخالفةِ نِسَبِهِم، غريبٌ في معاشرتهِ لهم لأنَّه يُعاشرهم على ما لا تهوى أنفسهم، وبالجملة: فهو غريبٌ في أمورِ دنياه وآخرته، لا يَجِدُ مِنَ العامَّةِ مسَاعِدَاً ولا معيناً، فهو عالمٌ بين جُهَّالٍ، صاحبُ سُنَّةٍ بين أهلِ بدعٍ، داعٍ إلى الله ورسولهِ بين دعاةٍ إلى الأهواءِ والبدعِ، آمرٌ بالمعروفِ ناهٍ عن المنكر بين قومٍ المعروف لديهم منكر والمنكر معروف »، فهذا كلام متين من إمامٍ من أئمة الهدى، فتأمَّله.

لذا «فَالافتتانُ في الدِّينِ أمرٌ عظيمٌ، وَلَمَّا نَهى الله عنْه عزَّ وجلَّ بقوله ﴿ **وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾ يريدُ التَّفرُّقَ الذي لا يَتَأَتَّى معه الائتِلاف على الجهادِ وحمايةِ الدِّينِ وكلمةِ الله، وهذا هو الافتراق بالفتن والافتراق في العقائد، وأما الافتراق في مسائلِ الفروع والفقه فليس يَدْخُلُ في هذه الآية» **قَالَهُ ابن عطية في (المحرر الوجيز)** (٣/ ١٨٢).

ثُمَّ بَعْدَ هذه التَّوطئةِ انْتَقِلُ إلى بَيَانِ أمرينِ مُهِمَّيْن قَبْلَ ذِكرِ التَّعقُّباتِ، وهُمَا إجمالاً:

١/ أَنَّ الْخَطَأَ إذَا وَقَعَ وظَهَرَ يَجِبُ رَدُّهُ بِعِلْمٍ وعَدْلٍ، نُصْحَاً للأمَّة وقياماً بواجب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

٢/ حَقِيقةٌ لا بُدَّ مِنْ ذِكْرِهَا.

وأمَّا تفصيلهما؛ فأقولُ وبالله التوفيق:

أوَّلاً: أنَّ الْخَطَأَ إذَا وَقَعَ وَظَهرَ وَجَبَ ردُّه بعلمٍ وعَدلٍ نُصْحاً للأُمَّةِ وقياماً بواجبِ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر

إنَّ مِنْ أَهمِّ وآكَد الوَاجِبَات الْمُحَافَظة عَلى الشَّريعة الْمُحَمَّدية، وصيَانتهَا وَتَنقيتهَا مِنَ الدَّخيل، وَ قَدْ أَدْركَ الصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هَذا الوَاجب؛ فَقَاموا به حَقَّ قيامٍ، وتَبعهم عليه مَنْ سَلَكَ سبيلهم منَ التَّابعين وأئمَّة الدِّين والملَّة، قَالَ الحافظ أبو حاتم ابنُ حبَّان البستي (ت ٣٥٤هـ): «فُرْسَانُ هَذا العِلْم الَّذين حَفِظُوا عَلى الْمُسْلِمينَ الدِّين، وهَدوهم إلى الصِّراط المستَقيم، الَّذين آثروا قَطْعَ الْمَفَاوِزِ وَ القِفَار علَى التَّنَعُّم في الدِّيار والأوْطان في طَلَبِ السُّنَنِ في الأمْصَارِ، وجَمْعِها بالرَّحَلِ والأسْفار والدَّورانِ في جميعِ الأقطارِ، حتَّى إنَّ أحدَهم لَيَرْحُلُ في الحديثِ الواحِدِ الفَرَاسخَ البعيدة وفي الكَلمةِ الواحدةِ الأيامَ الكثيرةَ، **لِئَلا يُدْخِلَ مُضِلٌّ في السُّنَنِ شيئاً يُضِلُّ به، و إنْ فَعَلَ فَهُمُ الذَّابُّونَ عَنْ رسول الله ﷺ ذَلك الكَذب، والقَائمونَ بنُصْرةِ الدِّينِ**» (المجروحين) (١/٢٧).

وَإنَّ مِنَ الْمُسَلَّماتِ أنَّ الصِّراعَ بين الْحَقِّ والباطل، والصَّحيحِ والسَّقيمِ بَاقٍ ومُستمرٍ حتَّى قيام السَّاعة، وعليهِ فَلا بُدَّ - والحالةُ هَذهِ - منَ الاسْتِمْرَار على مَنْهج الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتَّابعين وأئمَّة الدِّين:

مِنْ حِرَاسةِ الشَّريعة الْمُحَمَّدية وَ الْمُحَافَظةِ عَلى بقائها نقيَّة صافية، مَعَ القِيامِ بِمَا أَوجبَ اللهُ مِنْ بَيَان الحقِّ للخلقِ وردِّ الباطلِ.

قال الإمامُ ابن القيِّم في النُّونيَّة:

هَذا ونصرُ الدِّين فرضٌ لازم ... لا للكفاية بل على الأعيان

بيدٍ وإما باللسان فإنْ عجز ... ت فبالتَّوجه والدعا بجنان

وفي نصوص الشَّرْع مَا يدَلَّ عَلَى ذَلكَ:

١/ فَقَدْ أَخْرَجَ البُخَاريُّ في (صحيحه) (١٣/رقم ٧٠٢٢) واللفظ له، ومسلمٌ في (الصَّحيح) (رقم ١٠٣٧) منْ حديث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «**لا يَزَالُ مِنْ أُمَّتي أمَّةٌ قائمةٌ بأمرِ اللهِ، مَا يَضُرُّهم مَنْ كذَّبهم وَلا مَنْ خَالَفَهُم حَتَّى يَأْتِي أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ**».

ووردَ نحوهُ من حديث المغيرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عندهما أيضاً، ومن حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند مسلم، وغيرهما من الصحابة رضي الله عن الجميع.

٢/ مَا أخرجه البُخاريُّ في (صحيحه) (٨/رقم ٤٥٤٧/٢٠٩- فتح) واللفظ له، ومسلمٌ في (الصحيح) (١٦/ ص ٢١٦- نووي) مِنْ حَديثِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قَالَتْ: «تَلاَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ».

وجهُ الاستدلال: ما قَاله الحافظُ النَّووي في (شرحه لصحيح مسلم) (٢١٨/١٦): «**في هَذا الْحَديثِ التَّحْذيرُ مِنْ مُخَالَطَةِ أَهْلِ الزَّيغِ وأَهْلِ البِدَعِ وَ مَنْ يَتَّبِعُ الْمُشْكلاَت للفِتْنةِ..**».

٣/ وَ أيضاً قَوله ﷺ: «سَيَكُون في آخر أمتي نَاسٌ يُحدِّثونكم بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُم وَ لا آبَاؤُكُم فَإيَّاكُمْ وَإيَّاهُمْ»، أَخرجه مسلمٌ في (مقدِّمة الصَّحيح) (رقم ٦) (باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها).

قال الإمامُ البغوي في (شرح السنة) (١/ص ٢٢٣): «حديثٌ حسنٌ..».

وجه الاستدلال: أنَّ النَّبي ﷺ أخبرَ بِهَذا الغَيْبِ عَنْ أَقوامٍ يَأتونا بِمَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ، فَأَمَرَنَا بِمُجَانبتهم، وحذَّرنا منْهُم.

و المتأمِّلُ فِي كَلامِ الأئمَّة يَجِدُ حرصهم على بيانِ الْحَقِّ والرَّدِّ على الباطلِ، بِعِلْمٍ وعدلٍ، فَمِنْ ذَلك:

- **قَالَ شيخُ الإسلام ابن تيميَّة** كما في (المجموع) (٢٣١/٢٨-٢٣٢): «ومثل أئمَّة البِدَعِ مِنْ أهل المقالات المخالفةِ للكتاب والسُّنَّة، أو العِبَادات المخالفة للكتِابِ وَالسُّنَّة، **فإنَّ بَيانَ حَالهم، وتَحذيرَ الأُمَّةِ مِنْهُم، واجبٌ باتِّفاق المسلمين،** حَتَّى قيل لأحمد بن حنبل: الرَّجل يَصُوم وَ يُصلِّي ويعتكفُ أحب إليك أو يتكلَّم في أهل البدعِ؟ فقال: إذا قَام وصلَّى واعتكفَ فإنَّما هو لنفسهِ، وإذا تكلَّم في أهلِ البدعِ فإنَّما هو للمسلمين، هذا أفضل.

فبيَّن أَنَّ نَفْعَ هَذا عامٌّ للمسلمين فِي دِينهم، مِنْ جِنْسِ الْجِهَادِ فِي سَبيل الله؛ إذْ تَطْهِيرُ سَبِيْل الله وَ دِيْنِهِ وَ مِنْهَاجِهِ وَشِرْعَتِهِ، ودفع بغي هَؤلاء وعُدوانهم علَى ذَلك، وَاجبٌ علَى الكِفَايَةِ باتِّفاقِ المسلمينَ، ولَولا مَنْ يُقِيْمهُ الله لدَفْعِ ضَرَرِ هَؤلاء لَفَسَدَ الدِّين، وكانَ فَسَادُهُ أَعظم مِنْ فَسادِ اسْتِيْلاءِ العَدوِّ مِنْ أَهْلِ الْحَربِ؛ فإنَّ هَؤلاء إذَا اسْتَولوا لَمْ يُفْسِدُوا القُلُوبَ وَمَا فيها مِنَ الدِّينِ إلاَّ تَبعاً، وأمَّا أُولئكَ فَهُمْ يُفْسِدُونَ القُلُوبَ ابْتِدَاءً».

وقالَ أيضاً: «المقصودُ أنَّ هذه الأُمَّة- ولله الحمد- لم يزلْ فيها مَنْ يتفطَّنُ لما في كلامِ أهلِ البَاطلِ و يردّه، وهم لما هداهم الله به، يتوافقونَ في قبولِ الحقِّ، وردِّ البَاطلِ رأياً وروايةً من غير تشاعرٍ ولا تواطؤٍ» (المجموع) (٩/٢٣٣).

وقَالَ أيضاً كما في (مجموع الفتاوى) (٣/٢٤٥): «..هَذا وأنَا فِي سِعَةِ صَدْرٍ لِمَن يُخَالفني، فإنَّهُ وَإنْ تَعدَّى حُدُود الله فِيَّ بِتَكْفِيرٍ أو تَفْسيقٍ أوْ افْتَراءٍ أو عَصبيَّةٍ جَاهليَّةٍ: فَأنَا لاَ أَتَعَدَّى حُدُودَ الله فيهِ، بَلْ أَضْبِطُ مَا أَقُولهُ وَ أَفعلهُ، وَ أَزِنُهُ بِمِيزانِ العَدْلِ، وَأجعلهُ مُؤْتَماً بالكتَابِ الَّذي أنزلَهُ الله، وَجَعَلهُ هُدىً للنَّاسِ، حَاكماً فيْمَا اخْتَلَفُوا فيهِ، قالَ الله تعالى ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾، وقال تعالى ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾، وقال تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾، وذلك أنَّك ما جزيتَ من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾، وقال تعالى ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾».

و قال أيضاً في (الجواب الصّحيح) (١/١٠٧- ١٠٨): «ولَمَّا كَانَ أَتْبَاعُ الأَنبياء هُم أَهْلُ العِلْمِ وَالعَدْلِ، كانَ كَلام أَهْل الإسلامِ وَالسُّنَّةِ مَعَ الكُفَّارِ وَأهلِ البِدَعِ بِالعِلْمِ وَالعَدْلِ لاَ بِالظَّن و مَا تَهوىَ الأَنْفُس، ولِهَذا قالَ النَّبيُّ ﷺ «القُضَاةُ ثلاثةٌ..»، فإذَا كانَ مَنْ يَقْضي بَيْنَ النَّاسِ فِي الأَمْوَالِ وَالدِّمَاءِ وَالأَعْرَاضِ إذَا لَمْ يَكُن عَالِمَاً عَادِلاً كَانَ فِي النَّارِ، فَكَيفَ بِمَنْ يَحْكُمُ فِي المِلَلِ وَالأَدْيَانِ وَأُصُول الإيْمَانِ وَالْمَعَارِفِ الإلهيّة وَالْمَعالِمِ العَليّة بِلاَ عِلْمٍ وَلاَ عَدْلٍ؟».

وقال أيضاً في (الرَّدِّ على الإخنائي) (ص ١١٠): «وليسَ الْمَقْصُودُ أيْضاً العُدْوانُ عَلَى أَحَدٍ- لاَ الْمُعْتَرِضِ وَلا غَيرِهِ - وَ لاَ بَخْسِ حَقِّه وَلاَ تَخْصيصهِ بِمَا لاَ يَخْتَصُّ بِهِ مِمَّا يَشْركهُ فِيْهِ غَيرهُ، بَلْ الْمَقْصود الكَلاَم بِمُوجبِ العِلْمِ وَ العَدْلِ وَ الدِّيْنِ كمَا قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾».

وقَالَ الإمامُ ابنُ رجبٍ الحنبلي في (جامع العلوم والحكم) (٣٧٢/١) شارحاً حديث (لا تَغْضَبْ) عنْدَ البُخاريّ، قَال: «وكَانَ مِنْ دُعَائهِ ﷺ «أَسْأَلُكَ كَلِمةَ الْحَقِّ فِي الغَضَبِ وَالرِّضا»، وهَذا عَزيزٌ جدًّا، وهو أنَّ الإنْسَانَ لاَ يَقُولُ سِوى الْحَقِّ سَواء غَضِبَ أو رضيَ، فإنَّ أكثرَ النَّاسِ إذَا غضبَ لا يَتوقَّف فِيْمَا يَقُولُ»

قال الإمامُ ابنُ القيم في (إعلام الموقعين) (١٠٦/٣-١٠٧): «... واللهُ تعالى يُحبُّ الإنْصَافَ، بَلْ هُو أَفضلُ حِليةٍ تَحلَّى بِهَا الرَّجُل، خُصوصاً مَنْ نَصَّبَ نَفْسه حَكَماً بَين الأَقْوالِ وَالْمَذاهبِ، وقَد قالَ الله تعالى لرسوله ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾، فَورثَةُ الرَّسُولِ مَنْصبهمْ العَدل بَيْنَ الطَّوائف، و ألاَّ يَميلَ أَحدهُم مَعَ قَريبهِ وَذَوي مَذْهبهِ وَطَائفتِهِ وَ مَتْبُوعهِ، بَلْ يَكُونُ الْحَقّ مَطْلوبهُ، يَسِيْرُ بِسيرهِ، وَيَنْزِلُ بِنُزُولهِ، يَدينُ بدينِ العَدْلِ وَالإنْصَافِ وَيَحْكِّمُ الْحُجَّة، وما كانَ عليهِ رَسولُ الله ﷺ وأَصْحَابُهُ؛ فَهُو العِلْمُ الَّذي قَد شَمَّر إليهِ، وَ مَطْلُوبُهُ الَّذي يَحومُ بِطَلبهِ عليهِ، لا يثْني عنَانهُ عَذْل عَاذلٍ، وَلا تَأْخذه فيهِ لَومَةُ لائِمٍ، وَلاَ يَصدُّه عَنْهُ قَولُ قَائلٍ».

ثانياً: حَقيقةٌ لابُدَّ مِنْ ذِكْرِهَا

إنَّ الله تَعالى مِنْ حكمتهِ وَ لُطْفِهِ بِخَلقهِ ورحمتهِ بهم بَعَثَ إليهم الأنبياء وأنزلَ عليهم كُتبه؛ لبيان الْحَقِّ للخلق ودعوتهم إلى لزومِ شَريعتهِ ودينهِ، وتحقيق العبودية له سبحانه، قال عزَّ وجل ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾، وقالَ سُبْحانه ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾، وقال تعالى ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾، وقالَ تعالى ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾، وقَالَ تَعالَى ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾، وقالَ تَعالَى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾، في آياتٍ كثيرةٍ.

ومنَ الْمَعْلومِ الثَّابتِ أنَّ هؤلاء الرُّسل صَلَوات الله وسلامه عليهم أوذوا فِي سبيلِ الله، إيذاءً بالغاً؛ إلا أنَّ الله تَعالى أَمَرَهُمْ - وأمرَ أَتْبَاعَهمْ - بالصَّبرِ والتَّحمُّل فِي سَبيلهِ، فقالَ تعالى ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾، وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾، فِي آياتٍ أُخر.

ووعَدَ اللهُ تَعالَى الصَّابرينَ عَلَى الْحَقِّ بالأجرِ الْجَزيلِ فَقَالَ تعالى ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾، وقال تعالى ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾، وقال تعالى ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾، وقال تعالى ﴿ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾، وقال ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾، وقَال سُبْحَانه ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾، وقال عز في عُلاه ﴿ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ في آياتٍ عِدَّة.

قالَ الإمامُ ابن القيِّم في (التَّبوكية) (ص ٤٨-٥٠) بعد أنَّ قرَّر أنَّ السَّعادة في الدَّارين سَبَبها طاعة الرَّسول ﷺ، وأنَّ الشُّرور العامَّة والمصائب الواقعة في الأرض، وما يصيبُ العبد في نفسه،

إنَّما هو بسبب مخالفة الرسول ﷺ، والخروج عن طاعته، قَالَ: «وهذا برهانٌ قاطعٌ على أنَّه لا نَجاةَ للعبد ولا سعادةَ إلا باجتهاده في معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علماً، والقيام به عملاً.

وكمالُ هذه السعادة بأمرين آخرين:

أحدهما: دعوةُ الخلق إليه. والثاني: صبرهُ وجهادهُ على تلك الدعوة.

فانحصر الكمالُ الإنساني في هذه المراتب الأربعة:

أحدها: العلم بما جاء به الرسول ﷺ.

الثَّانية: العملُ به. الثَّالثة: بثُّه في الناس، ودعوتهم إليه.

الرَّابعة: صبره وجهاده في أدائه وتنفيذه.

ومن تطلَّعت همَّتُه إلى معرفة ما كان عليه الصحابة وأراد اتباعهم؛ فهذه طريقتهم حقَّاً.

فإن شئتَ وصلَ القومِ فاسلُكْ طريقهم... فقد وضحتْ للسالكينَ عِياناً» اهـ.

ويُنْظَرُ لِزَاماً لمن أراد مزيد فائدة في رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية (قاعدة فِي الصَّبر) مطبوعة متداولة، فإنها نَافعةٌ بإذن الله والله الموفق.

فَمَنْ سَلَكَ سبيلَ الرُّسل صَلُوات الله وسلامه عَليهم في دَعْوةِ الْخَلقِ، وبيانِ الْحَقِّ، والرَّدِّ على الباطلِ بِعِلْمٍ وعَدْلٍ، يَجِبُ أنْ يتحلَّى بالصَّبر عَلى مَا يُصيبه مِنَ الأذى فِي سَبيلِ الله، وَأنْ يَسْعَى بِكُلِّ جهْدِهِ فِي إظْهَارِ الْحَقِّ وَردِّ الباطلِ، مُسْتَصحِباً الرِّفْقَ الشَّرعي وَالشَّفقةِ عَلَى الْمَنْصُوحِ المردودِ عَليهِ، بِبَذْلِ النُّصحِ لَهُ أوَّلاً، فَإِنْ قَبِلَ فَالحمدُ لله، وعلى المنصوحِ البَيان إنْ كانَ الْخَطَأُ مُنْتَشِراً، أمَّا إنْ لَمْ يَقْبَلها وعَاندَ أو كانت الْمُخَالِفَة قَدْ ذَاعَتْ وَشَاعَتْ وطَارت بِها الرُّكْبَان وتَلَّقها مَنْ تَلَّقها عَلى أنَّها دِيْنٌ يُدَان لله بِهِ، فَحِيْنَئِذٍ تُرَدُّ الْمُخَالَفَةُ - ابتداءً - بالأدلَّةِ الشَّرعيَّة؛ ليَتَبيَّن الْحَقّ ويَظْهَر، ولَو لَمْ تُبيَّن لَه أوَّلاً؛ لأنَّ ذَلكَ مِنَ الأمر بالمعروفِ والنَّهي عن المنكرِ.

لذَا فَأقول تَجْلِيةً للحقائقِ وبَيَاناً لِحَقيقةِ الواقع- واللهُ خيرُ الشَّاهدين - أنَّ مَا قرَّرتُه هُنَا هُو عَين ما سلكتُه مع الدُّكْتور إبراهيم الرحيلي - هَداه الله ووفقَّهُ -، وبَيَانُهُ:

هو أنَّني قَابلتُه في اسْتِراحةٍ دُعيتُ إليها لإلقاءِ كَلمةٍ عَلى جمعٍ من الإخوة المسلمين الأمريكان جَاءوا للحجِّ عام ١٤٢٤هـ، فلمَّا حضرتُ كان الحضور كثيراً جدَّاً يَجْمَعُ مَنْ ذكرتُ وغيرهم كثير،

ومِمَّن حضر ذلك المجلس الدكتور إبراهيم، والأخ الشَّيخ خالد الرَّدَّادي، وغيرهما وتَمَّ إلقاء بعض الكلمات على الحاضرين، وبعد الانتهاء ونَحنُ منصرفون إلى العشاء قال لي الدّكتور إبراهيم: هل قرأتَ رسالتي (نصيحة للشَّباب)؟ قلتُ: كلا، لكنني رأيتُها على منضدةٍ بكبينة من كبائن التوعية الإسلامية بالحج، قال لو قرأتها في جلسةٍ؟ قلتُ: هل هناك مَجالٌ للحواشي عليها؟ قال: لا بأس، وفعلاً قرأتُها، وعلَّقتُ على ما رأيتُه فيها، ثم التقيتُه بعدها بأيام في الجامعة وقلتُ له: انتهيتُ من الرِّسالة، وإنْ رغبت في إبداء مَا عندي عليها فعلتُ. فاتَّصلَ عليَّ يوماً وأخبرني بأنَّ الوقت مناسبٌ لو التقينا، وفعلاً ذهبتُ إليه في مَنْزِله: و جرى اللّقاء، وذكَّرته أنَّنا إخوة، وأنَّ من تَمامِ الأُخُوة في الله أنْ يَنْصَحَ كُلٌّ منَّا الآخر، وقدَّمتُ له بأمثلةٍ بذلتُها لعدد من شُيوخي الأجلاء النُّبلاء، فيها بذل نَصيحةٍ لهم، وأنَّ هذا مِنْ حقِّهم عليَّ، مُقَدِّراً لهم مكانتهم مع بذل النَّصيحة لهم ديانة فِي صِيانةٍ تامَّةٍ لِمَقامهمْ، وكان فيما بذلتُه لَهم خيرٌ كثير، وشكروني، والحمد لله رب العالمين.

فقال لِي مُعقباً: الأمر لا يحتاجُ إلى هذا، لنبدأ.

فأجبته: إنني إنما ذكرتُ هذا بين يدي إبداء الملحوظات تضييقاً على الشيطان، ودفعاً له.

ثم بدأتُ في سرد الملاحظات، وقد فوجئتُ برجلٍ غير الَّذي كنتُ أتوقَّع!! إذ لم تَظْهر منه أيّ علامةٍ لقبوله النَّقد البنَّاء، بَلْ بَدَلا مِنْ أنْ يَشْكُر وَلَو لَمْ يُسلِّمْ! قَالَ فِي عُجْبٍ: وزّعت مِنَ الرِّسالة عَدَداً كثيراً، وعلى الزُّمَلاء في القسمِ (يَقصد قسم العقيدة) وما جاءني أحدٌ بِمُلاحَظةٍ!!

ومَعْلومٌ أنَّ هذا أسلوبٌ فيه انتقاصٌ وتَعالٍ وغرور، وإلا فهل إبداء ملاحظة على أيِّ رِسَالةٍ يَجبُ أنْ تَخْرج مِنْ رَحمِ قِسْمٍ مُختَصٍّ؟؟ فمنْ قَال نَعم؛ فَقد نادى على نفسهِ بِالجهلِ!

فأجبتُه: أنا جئتك بناءً على طلبكِ هَذا أولاً، وثانياً: مَنْ وزَّعت له الرِّسالة لا يعدو أن يكون أحدُ هَؤلاء: رجلٌ لم يقرأ، وبالتالي لم يأتك، وآخر: قرأ ولم يُدرك، فلم يأتك، وثالث: قرأ وأدرك، لكنَّها تُوافق ما عنده، فلم يأتك، ورابع: قرأ ولاحظ لكن لم يتيسَّر لَه الجلوس معك، وخامس: قرأ ولاحظ وتيسر له الجلوس معك، وهو أنا؟

وعُموماً جلستُ معه مَجلسين فِي يومين مُتَفرِّقين، ولَم تظهر منه بوادر مُشجِّعة للقبول، حتَّى قَالَ – وأنَا في بيتهِ –: أنَا أستغربُ كيفَ تَفْهمُ هَذَا الفَهْم؟

وللمعلوميَّة؛ فإنَّ الرَّمي لِمَنْ لَمْ يُوافقه علَى قَوله بعدم الفهم، وعدم إدراك دلالات الألفاظِ، أسلوبٌ اسْتَخْدَمه مع عددٍ مِمَّن نقدهُ أو ردَّ عليهِ غَلطه، ولَمْ يسلَمْ مِنْ هَذه التَّهكُّمات البَشِعَة إلا مَنْ وَافَقهُ وَردَّدَ – كُالبُوقِ – لما يقوله مع الأسفِ!!

عُموماً: قُلتُ له مُجِيباً: لا تَستغربْ، بَلْ أنَا أَسْتَغرِبُ كَيف تَكْتُب أنتَ مِثْلَ هَذهِ الكتابة؟؟ وانتهى اللقاء الأول والثَّاني من غير فائدة تُرجى، مع العلم بأنَّه يُشيرُ فِي جوابهِ الَّذي أرسله إلي بناءً على خطابي الموجَّه إليه، بأنَّه قد بيَّن لِي أمْراً في كلامه مما لاحظتُه عليه، ولَمْ أُبْدِ حينها التَّراجع، ولم أورده في مؤاخذاتي عليه؟؟ وهذا الكلامُ مِنْ تلبيسه هَداه الله؛ إذْ كان من المفترض عليه أن يُبيِّن تِلْكَ الملاحظة، لاَ أَنْ يُبْهِمَهَا!!

علماً بأنني قد ذكرتُ له في خطابي الموجَّه إليه أنَّ ما أرسلتُه إليه كتابةً إنَّما هو بعض ما لاحظتُه على (نَصيحته..)، لا كلّ ما استدركته عليه فيها، و بكلِّ حالٍ فإنَّ بقيَّة الملاحظات سَتردُ ويراها القارئُ بِحولِ اللهِ، وللعلم فإنني سأُرفق في خاتمة هذه المقدِّمة، محلقاً فيه صُورة خطابي الموجَّه إليه، وجوابه الغريب عليه!!.

هذا مُلخَّصٌ مَا دار فِي المجلسين مع الدُّكتور، ثُمَّ ما كان منه هداه الله إلا أنْ بَدأَ بِتَكْتيلِ وَ تَجْمِيع بَعض الطُّلاب وغيرهمِ، وشَحْنِهم مُصرِّحَاً باسْمي فِي مَجَالسَ، ومُلمِّحاً في أُخرى، مُستخدماً في ذلك أسلوباً رخيصاً ألا وهو:

استدرارُ العَواطف وإلهابُ الْمَشَاعر، والتَّظاهُر بصورةِ المظلوم الْمَكْلُوم!! واستطاعَ بِهذا الأسلوب المرفُوضِ – لدى العُقَلاء النُّبلاء – أنْ يَسْتَمِيلَ قُلوبَ قِسْمَين مِنَ النَّاس:

القسم الأوَّل: بعض مَنْ يُحسنُ به الظَّنَّ؛ فَصدَّقه في كلِّ ما قاله عنِّي وفِيَّ، فقالَ بِقولهِ، ولَمْ يُكلِّفْ أَحدهم نَفسهُ أنْ يَبحثَ عَن الْحَقِّ والحقيقةِ، ويَدْخُلُ فِي هَذا القسمِ مَنْ تَعصَّبَ لَهُ لاَ لشيءٍ إنَّما العصيبة البغيضة المنتنة.

القسمُ الثَّاني: مَنْ فِي قَلبهِ مَرضٌ مِنْ أهلِ الأهواء، لا هَمَّ لَهُ إلا البحث والتَّصيُّد بِهوىً وجهلٍ، فَجاءتُه كَلِمَات الدُّكتور التي ذاعت وانتشرتْ مُغذِّية لِمَا فِي قلبهِ المريضِ، فَشَرَّقَ وَ غرَّب بها، وطارَ بها كُلَّ مَطار، وجَيَّشَ حَولها وأزبدَ وأرْبَدَ، وأبدى وأعاد؟

ومِنَ العجيب أنَّ بعضاً مِنَ النَّاسِ حَمَل على عاتقهِ الدِّفاع عن الدُّكتور بِشَكْلٍ مُقزِّزٍ، مُستخدماً أسلوباً مَمْجُوجاً، وهو يَعْلَمُ يقيناً فِي نَفْسهِ بِأنَّه مَا قَال قَولَةَ الْحَقِّ، ومَا اتَّبعَ طَرائق أهْل الفَضْل والعلمِ فِي مثل هذه المواقف، عِلْماً بأنَّني طَلبتُه مِرَاراً للجلوس فأبَى!! وتكلَّمتُ مع بعض الفُضَلاءِ لِيُكَلِّموهُ فَأبَى الْجُلوس أيضاً!!! ثُمَّ تطوَّر الأمر إلى أنْ صَارَ حَكَماً في الموضوع! بناءً على سَماعهِ مِنْ طَرفٍ واحدٍ فَقط، وكأنِّي به تَمَثَّل قول القائل:

إذا قَالت حَذام فصدّقوها فإنَّ القول ما قالت حذام

علماً بأنَّهُ لَمْ يَطْلُبْ مِنه أحدٌ أنْ يَحْكُم أو أنْ يَتكلَّمَ في هذه المسألةِ أصْلاً، والنَّبي ﷺ يقولُ: «منْ كَان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خَيراً أو ليصمت» متفق عليه، وعلى كلِّ حَالٍ: حبُّك للشيء يُعمي ويصم، والله الموعد.

وهُنَا أمرٌ يَجِبُ ملاحظتُه وهو: أنَّ مَسألةَ المؤاخذة على رسالةِ (النَّصيحة) للدُّكتور إبراهيم، كانَ الأمرُ فيها النّقد العلمي للرِّسالة فقط، ولَمْ أ تَعرَّضْ لِشخصِ الدّكتور، لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ، ومَنْ قَالَ غَير هَذا فَهُو أفَّاكٌ أثيمٌ، أسأل الله إمَّا أن يهديه للحقِّ أو أن يقصمَ ظهرهُ!!.

وجَعلْتُ المسألة في مَسارها العلمي لا غَير، ولمَّا كُنْتُ أُسألُ عنْهَا آنذاك أقولُ:

أنَا أتكلَّم عن الرِّسالةِ لا عَنِ الكاتِبِ، فالكاتب أخونا، إلا أنَّ الْحَقَّ أحقّ بالاتِّباع.

فمَا كانَ من الدُّكتور - هَداه الله - إلا أنْ أخرج المسألة عَنْ مَسَارهَا، وعدَّ نَقَدَهَا طَعْناً فيه ونَيلاً منهُ، وبنَاءً على هَذا التَّصور الخاطئ الظَّالمِ: كَتَّلَ وجَيَّشَ عَدداً مِنَ النَّاسِ للانتصارِ لهِ، وهذا مُوثَّق عِنْدي بشهادةِ عَددٍ مِمَّن كانوا معه ثُمَّ تَركوه.

ومع هَذا حَاولتُ جَاهداً إرجاع المسألة إلى مسَارِهَا الصَّحيح ألا وهو: لاَ تَعْدُو الْمسألة مِنْ أنَّها نقدٌ عِلميٌّ علَى الرِّسَالَةِ فَقط، فأبَىَ وأصرَّ إلا أنْ يُرْجِعَها إلَى مَسَارهَا الَّذي رسَمَهُ لَهَا، وهو الذي ذكرتُه قَبْلُ، فإلَى الله الْمُشْتكى.

وَلمَّا رأيتُ الآثار السَّيِّئة لتلكَ الرِّسَالةِ فِي أوساطِ عَددٍ من الشَّباب، وبِخَاصَّةٍ فِي دَولةٍ تقع شرق آسيا، في صيفِ عام ١٤٢٩هـ، عزمتُ أنْ أكتبَ تِلْكَ الملاحظات علَى الرِّسالةِ آنفة الذِّكر، والَّتي غيَّر اسْمَها فيما بعدُ بعنوان (النَّصيحة فيما يجب مراعاته عند الاختلاف وضوابط هجر المخالف والرد

عليه)، علماً بأنَّه طبعها في رسالةٍ صغيرة، مَرَّاتٍ، منها طبعة جمعية دار البرّ الإمارتية!! و وزعتَها الجمعية هُناك، ووصلتني نسخة منها، ثُم أُعيدَ طبعها عن دار الإمام أحمد في مصر، وعندي نسخة منها أيضاً وكتب عليها (يهدى ولا يباع)، وفور حصولي على النُّسْخَتين، قرأتُ فيهما لعل الدكتور عَدَّل وغيَّر ما أُخذ عليه؟ لكن النتيجة مع الأسف هِيَ هيَ، دون تغييرٍ أو حَذْفٍ، هَذا وكان الدُّكتور يُوزِّع منْهَا بِنَفْسِهِ في أماكن شتَّى، يَعْلَمُ ذلك عشراتُ الناس الذين لقيهم في المسجد النَّبويّ وخَارجه، وأعطاهم نُسخاً عَديدة، ثُمَّ يقولُ بعد ذلك: وُزِّع منها بالآلاف!!! ويظنُّ أنْ تَوزيعها بأعدادٍ كثيرة يَدُلُّ على صَواب ما فيها؟ هَيهاتَ هيهات؟ فهذا ظنٌّ خاطئٌ مَغْلُوطٌ، يُدركه مَنْ لديه أدنى درجات المعرفة بِحَقيقةِ العلمِ الصَّحيح؟.

أقولُ: كتبتُ ملاحظاتي على رسالتهِ، والتَّعليق عليها، و أرسلتُه إلى العلماء والمشايخ، مِنْهُم:

١/ الشيخ زيد بن محمد المدخلي حفظه الله.

٢/ الشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله.

٣/ الشيخ عبيد بن عبدالله الجابري حفظه الله.

٤/ الشيخ علي بن ناصر الفقيهي حفظه الله.

٥/ الشَّيخ محمد بن هادي المدخلي حفظه الله.

٦/ الشَّيخ محمد بن عمر بازمول حفظه الله، وغيرهم من المشايخ.

فنظروا فيما كتبتُ وأيَّدوا تلك الملاحظات، ولمَّا قرأتُ الردَّ كَاملاً على **الشيخ** عبيد حفظه الله، طلب أنْ يَخْتِمَ عَليهِ، ووصفه بأنَّه ردٌّ موفَّق وجميل، جزاه الله خيراً.

وللمعلومية فإنَّ **الشيخ** العلامة زيد المدخلي و **الشيخ** علي بن ناصر لهما وجهةُ نَظرٍ، وهي: عدمُ تسمية الدكتور إبراهيم في الرَّدِّ، مع صوابِ الرَّدِّ.

وأما الدُّكتور بازمول حفظه الله فكانَ يَرى أنْ يكونَ الردُّ عَرَضَاً لا غرضاً، فالْتْنُ لِتَقعيدِ المسألة والحاشية فيها الردّ، وهذا كلُّه في أوائل عام ١٤٣٠هـ.

وهُنَا أُنبِّهُ عَلى أمرٍ مُتَعلِّقٌ بالمقام: ألا وهو أنَّ الدكتور إبراهيم كان يروِّجُ- مع الأسف - أنَّ **الشّيخ** الدُّكتور علي بن ناصر حفظه الله، خَطَّأني في ردِّي عليه، وأنَّ الْحَقَّ معه، واستمر عَلى هذا

الصورة – الَّتي يَعْلَمُ هو عَدَمَ صحَّتها – زَمَناً، وأشاعَ ذلك في مقامِ الانتقاص والازْدِرَاءِ لِمَنْ آخذهُ وَرَدَّ عليه، ومع هذا صَبَرْتُ على إيذائه– عفَا الله عنه – وَ منْ معهُ زَمَناً طويلاً، وكُنْتُ أقول: أبَى اللهُ إلا أَنْ يُظْهِرَ الْحَقَّ ولَو بَعْدَ حِين، وبالفعلِ فَفي أحد مَجالسِ **الشيخ** المبارك ربيع بن هادي إبَّانَ زيارته المدينة النَّبوية في ذي القعدة عام١٤٣١هـ، وفِي مَنزلِ فضيلة الشَّيخ صالح السِّحيمي، حصل أنْ أعادَ الدكتور هذا الزَّعم وهذه الفِرية، فكان أنْ جَاءَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَحْتِسب، وهو أنَّ الشيخَ علياً قالَ في المجلس ذاك: بأنَّني قُلْتُ لعبدالله: ردُّك جيد، لكن لا تُسم إبراهيم، أو نَحو هذا العبارة، فلما سمعها الدكتور – وسمعها معه جمعٌ يعرفهم وأعرفهم جيداً – بُهت الذي ظَلمَ وافترى!! ولا يحيقُ المكرُ السَّيءُ إلا بأهله.

وبحمد الله ومنَّته فشهودُ الجلسة هَذه عندي وعند أهل السنة أَوْثَقُ مِمن نَفى أو أراد أنْ ينفي ذلك، والله الموعد.

والحقيقةُ التي يجبُ أنْ تُعرف هي: أنَّني لَمَّا انتهيتُ من الرَّدِّ كما قلتُ وأرسلتُه إلى عددٍ مِنَ العُلماء والمشايخ، طَلبَ مني أحدُ شيوخي الفُضَلاء أنْ أُرسل منه نُسخةً إلى الدكتور إبراهيم – وفقه الله –، لِيَنْظُرها لعلَّه يَرْجِعُ، وفِعْلاً كتبتُ إلى الدُّكتور إبراهيم رسالةً بَيْنَ يَدي الرَّدِّ، فيها احترامٌ وأشهدتُ الله فيها على أنَّني لَمْ أُرد بها إلا النُّصح لَه ورب السماء، كما سيراه الأخ القارئ المنصف فِي الملحق.

وما كان من الدكتور إبراهيم إلا أنْ أجابني بَعْدَ أيَّامٍ من كتابتي إليه برسالةٍ فَجَّةٍ تَنْضَحُ بالْحَنَقِ، مَعَ إسْفَافٍ كُنْتُ أُنَزِّهُ مَنْ دُونَهُ عَنْهُ؛ إذْ فيها طَعْن فِي النَّوايا، وغَمْزٌ وَلَمْزٌ فِيمن أُعظِّم مِنْ بَعْضِ الْمشايخ، وتَعريض بهم، و غَرور وعُجْب مُهْلِكَين، وأنَّ مَنْ رَدَّ عليه فسَيَصطدمُ بالنُّصوصِ وأقوال الأئمَّة، إلى غير ذلكَ مِنَ البَلاءِ الّذي سيراه القارئ المنصفُ في الملحق، ويُفجأ به كلُّ من لديه مُسْكَةُ عَقْلٍ، وحينها يُدرك الجميع مَدى ما يتمتَّع به الدكتور مِنْ حُسن خُلق وعِلْمٍ مُصْطَنَعَيْن!! .

ولا يقول قائل: لعل الْخِطَاب منه خرجَ هَفوةً وزلة؟

فالجوابُ: كم كنتُ أتمنى منْه ذلك، لكن مع الأسف فالدُّكتور مُصرٌّ على أنَّه قاصدٌ مُريدٌ لما في جوابه!! وهَذا قد نصَّ عليه في جَواب شَفهيّ لِبعضِ مَنْ كلَّمَه فِي ذَلكَ وعاتَبهُ، فَرَدَّ عليه بأنَّه قَاصِدٌ للخطابِ!!

فالخطابُ خَرجَ بِما فيهِ مِنْ نَفَسٍ مقزِّزٍ مَع سبقِ الإصْرارِ والتَّرصُّدِ، وإلا فهو كان فِي عافيةٍ مِنْ أنْ يَكْتُبَ كتابةً كأنَّ الَّذي كتبها أحدُ رؤوس أهْلِ الفتن في هذا العصر ألا وهو أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل المصري نزيل مأرب، فالنَّفسُ في الأوراق مُشَابهٌ تَمَاماً لنفسِ أبي الحسن فيما سوَّدته يَداه مِنْ وَرقاتٍ فَاسدةٍ كاسدةٍ، تدل على بضاعة مُزاجاة.

وكان الأليقُ بالدكتور إنْ لَمْ يرتض مُؤاخذاتِي عَلى رسالته، أن يكون جوابُه إلِيَّ أحدُ الأجوبة التَّالية:

١/ نظرتُ فِي ملاحظاتك ولا أرى صوابها، وسأجيبك عنها لاحقاً - مَثلاً -، أو:

٢/ نظرتُ في ملاحظاتك، وسأتأمل فيها، أو:

٣/ نظرتُ في ملاحظاتك، وشكر الله لك، أو:

٤/ أنْ يَسْكُتَ، فَلا يردُّ بشيءٍ أبداً.

وبالتَّأمُّل الشَّديد فِي جوابه أقولُ:

قَد أظهرَ فيه ما يَحملُهُ مِنْ حَنَقٍ وكِبْرٍ وتَعَالٍ واستخفافٍ بالآخرين! وله أقول: أيُّها الدكتور:

١/ يقولُ الإمامُ ابن القيِّم في (الدَّاء والدَّواء) (ص ٣٦٣): «وإذا أردتَ أن تستدلَّ على ما في القلبِ، فاستدلَّ عليه بحركةِ اللّسان، فإنَّه يُطلعُ ما فِي القلبِ، شاءَ صاحبُه أم أبى.

قال يَحيى بن معاذ: القلوبُ كالقُدور تَغْلِي بِمَا فيها، وألسنتُها مغارفها، فانظر الرجل حين يتكلَّم، فإنَّ لسانه يغترف لك مما في قلبه: حلو وحامض، وعذب وأجاج، وغير ذلك، ويبين لك طعم قلبه اغترافُ لسانهِ» انتهى.

٢/ ليس يَعجزُ أحدٌ أنْ يَسْلُك طريقتَك في جوابِكَ؛ إذ هي طَريقَةُ الْمُفْلِسِ الْخَانِقِ، لكن الذي يَعْجزُ عنه مَنْ سَلكَ تِلك الطريقةَ أنْ يَصُونَ قَلمه ولِسَانه عَنِ الزَّيغِ والانْحرافِ عَنِ الصَّواب، وأنْ يُقابل الحجَّة بالْحُجَّةِ والبُرْهَان، فِي صِدْقٍ مِنَ القَولِ والفعل؛ وصَنِيعُك في جوابك ذكَّرني بمثل عربي قديم وهو(قِيْلَ للشَّحمِ أينَ تَذْهبْ؟ قال: أُقوِّمُ المعوجَّ)؛ أي أنَّ السِّمن يَسترُ العُيوب!!!

٣/ أذكِّرُ الدُّكتور: بأنَّ العُجبَ والغُرورَ هَلاكٌ للمرءِ إنْ لم يُراجع نفسه ويؤوب إلى مولاه تعالى، جَاء فِي (جامع بيان العلم وفضله) (١/ رقم ٩٦٣ ٩٦٥ و٩٦٦ و٩٦٧ و٩٦٩ و٩٧٠ و٩٧٢

و٩٧٣/ ٥٧٠-٥٧١) للإمام ابن عبد البر : «العُجبُ يهدِمُ الْمَحَاسنَ»، وفيه أيضاً: «إعجابُ المرءِ بنفسهِ دَليلٌ على ضعفِ عَقْلهِ»، وفيه أيضاً: «مَنْ أُعجبَ برأيهِ ذَلَّ، ومن استغنى بعقلهِ زلَّ، ومَنْ تكبَّر على الناسِ ذَلَّ، ومَنْ خَالطَ الأنذالَ حَقر، ومَنْ خَالَطَ العُلماء وقر»، و فيه قالَ أبو نعيم: «والله مَا هَلكَ مَنْ هلك إلا بِحُبِّ الرِّياسةِ».

و فيه قولُ أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «علامَةُ الْجَهْلِ ثَلاثةٌ: العُجبُ، وكثرةُ المنطق فيما لا يعنيه، وأنْ يَنْهَى عن شيءٍ ويأتيه»، وفيه قول: «لاَ تَرى الْمُعجب إلا طالباً للرِّياسَةِ».

وجاء في (لسان الميزان) (٣٢٦/٤) في ترجمة (عمر بن محمد بن إسحاق العطار): «لا يَعدُّهُ أحدٌ شيئاً، و لا يُكترثُ به؛ لإعجابهِ بنَفسهِ».

وقبل الختامِ أقولُ: قد روَّجَ بعض مَنْ تَبنَّى الدِّفاعَ عن الدُّكتور بغير علمٍ ولا هُدىً مِنَ الله، أنَّني نَشَرْتُ ردِّي وأذعتُه، وأقامَ هُو ومن تعاطف معه الدُّنيا ولم يُقْعِدُوها، وكأنَّني ارتكبتُ جريمةً نَكْرَاء بِنَشري للرَّدِّ؟

والجوابُ عَنْ هَذا الباطل: هَبْ- جدلاً - أنَّ الأمر كمَا زَعموا مِنْ نشري للرَّدِّ، فكان مَاذا؟؟ خَطأٌ ذاعَ وطُبعَ وانْتَشَر، فمَا وجهُ المؤاخذةِ لِمَنْ بَيَّنَهُ بالحجَّةِ والبُرهان دُون تَعدٍّ ولا بغيٍّ؟!

عِلْمًا بأنَّ شيئاً مِنْ ذلك لَمْ يَحْصُلْ، وهُم أَشَاعوا هَذَا زمناً تَلهيباً للمشاعر، واستدرارا للعواطف، وما أفْلَحُوا فكم الذين جاؤوا إليَّ يبحثون ويسألون عن الرَّدِّ، فلم يَجِدُوا جواباً، وقد كتبتُ يوم الثلاثاء (٢/ جماد الآخر/ ١٤٣٠هـ) إلى أحد الفُضَلاء مِمَّنْ تبنَّى الدِّفَاعَ عن الدُّكتور بِغَيْرِ بيِّنةٍ- هداه الله -: «**فَلئنَ قَال لك قائلٌ ظالمٌ لنفسهِ:** إنَّ الرَّدَّ قَد انْتَشرَ؟

فَالْجَوابُ: قَدْ كَذَبَ عليكَ هذَا القائل، ونَطَقَ واقْتَفَى مَا لا عِلْمَ لَهُ بِهِ، عَمْداً أو غَفْلةً، مَع العِلمِ بأَنَّهُ سبقَ أنْ قُلتُ لكَ ذَلكَ فِي الاتِّصالِ الذي جرى بَيننا، وَ أُكَرّرهُ الآن: فَأقولُ:

واللهِ وباللهِ وتَاللهِ إنَّ الرَّدَّ لَمْ يَنْتَشر، وَ لاَ وُزِّعَ وَلَمْ يَخْرجْ مِنْ عِنْدِ أَحَدٍ من الْمَشَايخ الَّذين وَثِقْتُ فيهم وأعطيتُهم الرَّدَّ لينظروا فيهِ، وَأيَّدونِي جميعاً فِيْه بِحمد الله ومنَّتِهِ، وأتَحدى أنْ يَستطيع أحدٌ أن يُثبتَ خِلاَف كَلامي، فإنني مُسْتَعدٌّ لِمُبَاهَلَتِهِ، والله الموعد!».

وخِتَاماً فَلَنْ أجاري أو أُعلِّق علَى جَوابِ الدُّكتور إبراهيم – عفا الله عنه – بشيءٍ أثناء إيرادي لَهُ؛ إذْ فيما ذَكرتُه هُنَا غُنيةٌ لِمَنْ كَانَ لَه قلبٌ أو ألقى السَّمْعَ وهو شهيدٌ، والنَّاظرُ في خطابِي المهذَّب إليه، وجوابِهِ المتعسِّفِ المتعالي، يُدركُ بعينِ الإنصافِ والعَدْلِ – إن شاء الله– مَن الذي كان يَسْعَى للتَّهدئةِ وجمعِ الكَلمةِ، ومَن الَّذي كان يسعى في ضِدِّ ذلكِ، ولا حول ولا قُوَّةَ إلا بالله العظيمِ.

كتبه

عبد الله بن عبد الرحيم البخاري

– كان الله له –

المدينة النبوية

في يوم السبت ٢١/شوال/١٤٣٣هـ

ملحق

المراسلات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد:

فمنْ عبدالله بن عبدالرحيم بن حسين البخاري، إلى فضيلة الدّكتور/ إبراهيم بن عامر الرحيلي وفقه الله وسدَّده.

السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فأسألُ الله الكريم ربَّ العرش العظيم أنْ تَكُون فِي خَير حَال، ثُمَّ يَطِيبُ لِي أيُّها الأخ الكريم أنْ أُرفقَ لك مَعَ مَكْتُوبِي هَذا بعض مَا سَطَّرتُه مِنْ مَلْحُوظَاتٍ لاَحَظْتُها عَلَى رِسَالتكِ المطبوعة ثَلاث مرَّات، والَّتِي هي بعُنوان: (النَّصيحة..)، علماً بأنّي قد أبديتُها لَكَ مُشَافهةً قَديْماً فِي مَجْلسين من شهر ذي الحجة عام ١٤٢٤هـ، حين نُزولها بطَلَبٍ منك- وفَّقك الله-.

فالمرجو منْك النَّظر والتأمَّل فيما كتبتُ وسطَّرتُ والرُّجوعُ عمَّا فيها، وإنِّي فِي كتابتِي هذه لَم أُرِدْ إلاَّ النُّصح لَكَ وربِّ السَّماء، وكذا للأُمَّة، وهَذا مِنْ صَفَاء وَنَقاء المنهجِ السَّلفي، فالرُّدود بين أهل العلم وطلاَّبه مَحمودة إنْ كَانت مُحَاطة بأهدافها النَّبيلة وآدابها الْمُسَدِّدة، وإنِّي لأتَمثَّلُ لكَ فيما كتبتُ بِمَا قَالَه حَاتم الأصم (رحمه الله): (مَعي ثلاثُ خِصَالٍ أَظْهَرُ بِهَا عَلَى خَصْمي، قالوا: ومَا هي؟ قالَ: أفرحُ إذا أصابَ خصمي، وأحزنُ إذا أخطأ، وأحفظُ نفسي لا تتجاهل عليه . فبلغَ ذلك الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله فقال: (سبحان الله ما كان أعقله مِنْ رَجُل)، انتهى مِن (المنتظم) لابن الجوزي (١/٢٢٠).

فالله أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أنْ يوفِّق الجميع لِلحق والقول به، إنَّه سميعٌ مجيبٌ، وصلَّى على نبينا محمدٍ وآله وصحبه وسلَّم.

وكتبه

عبدالله بن عبدالرحيم البخاري- كان الله له-

صبيحة ٢٦/ شوال/ ١٤٢٩هـ

تنبيه:

أرجو إجابتي على العنوان التالي:

المدينة النبوية (ص ب/ ٣٩٧٧) أو كلية الحديث الشَّريف (الصَّندوق الخاص).

بسم الله الرحمن الرحيم

من إبراهيم بن عامر الرحيلي إلى الأخ الدكتور عبد الله بن عبد الرحيم البخاري وفقـــــه الله

وعليكـــم الســـلام ورحمـــة الله وبركـــاته

وبعـــد.....

فقد تلقيت خطابك مع ماذكرت أنك سطرته من ملاحظات على كتابي (النصيحة فيما يجب مراعاته عند الإختلاف وضوابط هجر المخالف والرد عليه).

وقد قرأتك أوراقك المذكورة فإذا هي متضمنة أوهاماً وقعت لك بسبب عدم الفهم لما جاء في رسالتي (النصيحة) ويرجع هذا إلى خفاء مسألة الهجر عليك،من حيث المقاصد والتطبيق ، وكذلك عدم إدراكك لدلالات الألفاظ ، وغير ذلك من الأسباب .

-واعذرني في هذه الصراحة لكن هذا هو الواقع ، ومقتضى النصح أن أصدقك ولا أخادعك- .

وإني لأنصحك أن تعرض ما لديك مما ذكرت من ملاحظات على صاحبي الفضيلة: الشيخ العلامة عبد المحسن العباد البدر، والشيخ العلامة علي بن ناصر فقيهي؛ فلا أعلم في المدينة أرسخ في العلم منهما،هذا مع الأناة والتثبت ،وصدق النصح لطلاب العلم ،والتجرد التام ، مع ما جعل الله لهما من القبول عند الخاص ،والعام.

وإني لأدعوك من قبل ذلك وبعد إلى مراقبة الله في كل شأنك ، والإخلاص لله فيما تأتي وتذر ، واحذر من مخادعة النفس ؛ فإن للنفس شهواتٍ خفية قد لا يتنبه لها الإنسان إلا بعد فوات الأوان .

فتأمل في ساعات خلوتك بنفسك فيما سطرته من ملاحظات على رسالتي .

ما الذي أردت به؟! ولا عليك أن تختبر النفس بأن تقدر في نفسك أن لو كانت رسالة (النصيحة) لواحد ممن تعظمهم من المشايخ هل ستلاحظ عليها ما لاحظت أم أن الأمر يختلف ؟!!

فإن كان الموقف واحداً،ولا أثر لمؤلف أو آخر فيما أبديتَ وسطرتَ من ملحوظات وأنت متجردٌ فيما تعتقد أنه حق فأنت أنت، وهذا هو حقيقة الإخلاص .

وإن كانت الأخرى فأمسك عما أنت فيه، واعلم أن هذا العمل فيه دخن ، وللنفس فيه حظوظٌ وحظوظٌ؛فلا تملك نفسك بالدخول فيه، ،وتذكر يوم العرض على من لا تخفى عليه خافية، فلا تجد لك فيه عند الله حجة ، ولن ينفعك يومئذ أحد .

واعتبر رحمك الله بمصارع أهل الباطل لما تعرضوا لأهل السنة وكتبهم ، وكلامهم، بجهل وهوى ، وأرادوا الصد عن دعوتهم كيف أصبح حالهم، وما أفضى إليه أمرهم من ذل وهوان ، وخزي وعار،في هذه الحياة، مع ما هم معرضون له من العقوبة في الآخرة.

واعلم أن تذكيري لك في هذا المقام ليس إلا لما أوجب الله من النصح لكل مسلم، وشفقتي عليك ، ورحمتي بك.

وأما بالنسبة لي فلن يضرني من ذلك شيء بحمد الله؛ لأن ما ذكرتُه في النصيحة من مسائل وتقريرات كل ذلك مدللٌ وموثقٌ بالنصوص ،ومؤيدٌ بكلام العلماء المعتبرين،والناقد لهذه المسائل سيتصادم في نهاية الأمر مع النصوص وكلام العلماء.

وإني لو أردت الإجابة على ما ذكرتَه من ملاحظات، وما وقع لك فيها من اشتباه على وجه التفصيل؛لتبين لك ولغيرك صدق هذا الأمر-ولعلي لا أضطر لهذا في المستقبل-.

واعتبر بما ذَكرتَه عند زيارتك لي في البيت من ملاحظةٍ كنت متحمساً لها أشد الحماس فبينتُ لك في وقتها بعد طول نقاش سلامة الكلام من أي ملحظ، وهاأنت الآن لم توردها في ملاحظاتك مع أنك لم تبدِ تراجعاً في وقتها؟!!!

أسأل الله الكريم أن يرشدني وإياك إلى سبيل الرشاد ، وأن يعذينا من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن .

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

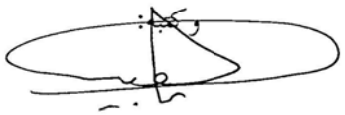

إبراهيم بن عامر الرحيلي

١٤٢٩/١١/١٠هـ